تاريخ حيفا

هو اول تاريخ يوضع لهذه المدينة
ويبحث في ما كانت عليه في العصور الاولى
وما صارت اليه بعد ذلك الى ان وصلت الى حالتها الحاضرة
تليه كلمة عن حيفا في الحرب الكبرى
وتاريخ الكرمل

تأليف

جميل البحري

صاحب المكتبة الوطنية ومجلة الزهرة في حيفا

جميع الحقوق محفوظة
ويطلب من المكتبة الوطنية في حيفا

المطبعة الوطنية لصاحبها اسبيلاكيوس - حيفا

7.18(251)(091)
1839999

تاريخ حيفا

هو اول تاريخ يوضع لهذه المدينة
ويبحث في ما كانت عليه في العصور الاولى
ما صارت اليه بعد ذلك الى ان وصلت الى حالتها الحاضرة
تليه كلمة عن حيفا في الحرب الكبرى
وتاريخ الكرمل

تأليف

جميل البحري
صاحب المكتبة الوطنية ومجلة الزهرة في حيفا

جميع الحقوق محفوظة
ويطلب من المكتبة الوطنية في حيفا

المطبعة الوطنية لبيب بولاد الجدع - حيفا

1402666

فهرس التاريخ

صفحة

٠١ المقدمة

٠٣ تمهيد

٠٤ اسم حيفا

٠٥ تاريخها

٠٩ نظرة عامة بين ماضيها وحاضرها

١٣ التبدل في حالتها

١٦ حيفا اليوم

موقعها

سكانها واخلاقهم ومعيشتهم

حكومتها

حالتها الدينية

» التجارية

» السياسية

» الادبية

٣٥ حيفا في الحرب الكبرى

٤٦ تاريخ لكرمل

رغبنا في ان لا يشوب هذه الطبعة شائبة انما العصمة لله فقد وقع فيها اغلاط مطبعية لا تخفى على القارىء اللبيب

المقدمة

لما كان التبدل في حالة حيفا عمراناً وتجارة وادباً ، قد جعلها بين امهات المدن السورية عموماً والفلسطينية خصوصاً ولما كان لا يوجد بعد لها تاريخ يبسط حالتها الماضية والحاضرة لدى الادباء ورجال التاريخ ، رأيت - وانا اول حيفاوي كرّس ذاته واوقاته لخدمة الادب فيها ، بتأسيس المكتبة « الوطنية » وانشاء المجلة « الزهرة » — ان لا اقعد عن هذا الواجب الذي اعدّ نفسي أحق الناس بالقيام به ، فعملت — بعد التفتيش والبحث ومراجعة الاسفار القديمة والحديثة التي لم اجد فيها والحق يقال ما ينقع غلة الاّ اللهمّ بعض الذكر عن كثب او التلميح تحت اسماء مختلفة بمرور فاتح عظيم بها كما اثبته هنا — عَلَى وضع هذا التاريخ ، معتاضاً فيه عن الماضي القديم الذي لم تلعب فيه دوراً مهماً ، بالتوسع في الكلام عن حالتها وأهمّ ما كان فيها لسبعين سنة خلت الى يومنا الحاضر . آملاً ان ان يقع عملي هذا لدى الجميع موقع القبول وان يقبلوا عَلَى

مطالعته مطالعة الخبير الناقد وينكروا براجعتي بكل ما يرون فيه نقصاً في التاريخ ليحفظ عنهم مع الشكر والامتنان للطبعة الثانية ، و يبدوا رأيهم في المشروع اذا وجدوا لذلك مجالاً تنشيطاً لغيري ولي للاقدام على وضع غيره لغيرها من المدن الفلسطينية والله من وراء النيات

٣١ تموز سنة ١٩٢٢ «جميل»

تاريخ حيفا

تمهيد

حيفا مدينة حديثة العهد جداً يرجع تاريخها بالرقي والعمران الى تاريخ انشاء السكة الحديدية الحجازية اي الى ما لا يزيد عن العشرين سنة تقريباً وقد اضحت ميناء الداخلية كالشام وحوران وخصوصاً الحجاز ونقطة المواصلة بين هذه الجهات والعالم الاوروبي، ساعدها على ذلك موقعها الذى اوجد لها مرفأها الطبيعي الامين وهو خير مرسى وملجأ للسفن اوقات الزوابع والعواصف . وهكذا فقد تبدلت حالتها بسرعة مدهشة تبدلاً محسوساً . فبعد السكون والهدوء اللذين كانا مخيمين عليها سابقاً اذ لا تجارة ولا صناعة ولا حركة حياة حتى ولا مدارس لنشر العلوم والمعارف وقد عرفت في كل اوقاتها مدينة صغيرة ضيقة النطاق قليلة عدد السكان ضيقة الشوارع اضحت على ما هي عليه اليوم تعد بين اهم المدن الفلسطينية، بل وبين ازهر المدن السورية تجارة ، بل ولا مزاحم تجارياً لبيروت عروس الشرق الا هي . ولا تلبث ان تكون من اعاظم مرافئ البحر المتوسط خصوصاً اذا اخرجت تلك الفكرة الى حيز

العمل وجعلت حيفا ميناء العراق والهند والشرق الاقصى ..

وهي واقعة في سفح جبل الكرمل تجاه مدينة عكا من الجهة الجنوبية يفصل بينهما البحر الداخل في اليابسة المعروف بخليج عكا. وقد خصها الله بالمناخ الطيب والهواء العليل والمناظر الطبيعية الجامعة بين سماء صافية الاديم وبحر ساكن الامواج وسهل خضر خصيب وجبل مكسوّ بالازهار والرياحين .

اسمها

عبري الاصل معناه المخفية او المظللة ذلك لان الكرمل الممتد جنوبيها يظللها وقد ذكرت في الكتاب المقدس (١) باسم اكشاف وكيفا وعرفت بعد ذلك باسم كلامون وقد دعاها الصليبيون بورفيريا الجديدة نسبة الى ما كان يوجد على شواطئها من الاصداف التي منها كانت تؤخذ مادة الصباغ الارجوانية او البورفيرية ، ولا يزال هذا الاسم معروفاً لها ومذكوراً في ايامنا الحاضرة في النشيد الاسقفي لطائفة الروم الكاثوليك . وقد اردف الى هذا الاسم كلمة (الجديدة) تمييزاً لها عن بورفيريا التي ذكرها التاريخ واقعة على بعد ثمانية فراسخ من مدينة صيدا .. والمهم في كل ذلك والمؤكد انها لم تكن في ذات المحل الذي فيه اهم بناياتها وحيث موجودة

(١) يشوع بن نون - ١١ ع ١ — ١٢ ع ٢٠ - ١٩ ع ٢٥

الحركة التجارية اليوم بل كانت قائمة على مقربة من رأس الكرمل في المكان المعروف اليوم بحيفا القديمة غربي المستعمرة الالمانية . والآثار التي كشفت في الحفريات والتي لا تزال ظاهرة لخير برهان على صحة القول حتى ويوجد اثر تاريخي يعرفه الحيفاويون ببرج العجوز او برج (الزَّوَره) وهو صخرة منتصبة على شاطئ البحر قيل انها من بقايا برج حصين للمدينة القديمة .

تاريخها

لم يترك لها التاريخ اثراً في بطون اوراقه كما ان المؤرخين ضربوا صفحاً عن ذكرها الاّ تنويهاً تحت اسماء كما قلنا مختلفة . وما السبب في ذلك الاّ لانها لم تلعب في السنين الغابرة دوراً كباقي المدن المجاورة . انما أقدم ما عرف عنها انها لما دخل الاسرائيليون ارض فلسطين بقيادة يشوع بن نون وقسموها بين اسباطهم الاثني عشر كانت من نصيب اشير اسماً ولكنها فعلاً بقيت محافظة على استقلالها وقد حارب ملكها مع الملوك مجاوريه الآتين اليهم ووقفوا امامهم وقفة مجيدة . ويذكر التاريخ ان الاسرائيليين ارتدوا عنها وعن الجليل الاعلى كما انهم عجزوا عن دخول مدن ساحل البحر كلها .

سنة ١٠٤ قبل المسيح جاءها ليثرا بن كليو بطرا ملكة مصر الذي كان في قبرص بعد ان اضطهدته والدته وانزل جنده وعددهم ٣٠٠٠٠

لمساعدة بتولمائيس (عكا) عَلَى رد اسكندر بن هركانوس ملك اليهودية عن حصارها ٠

ملكها بعد ذلك الرومان ولا اثر لها يذكر في ايامهم

سنة ٦٣٨ للمسيح في اوائل الفتح الاسلامي استولى عليها العرب بقيادة عمر بن العاص وبقيت تحتكم باحكامهم حتى جاءها غودفروا دي بويون بطل الحملة الصليبية الاولى الذي بعد ان فتح البلاد الفلسطينية وسمي ملك القدس سنة ١٠٩٩ جاء وحاصرها برًّا وبحراً مدة خمسة عشر يوماً ثم دخلها ظافراً سنة ١١٠٠ وسلمها الى تانكرد الذي وُلي امر سائر الجليل وجعل قاعدة ملكه مدينة طبريا ٠ وعقيب فتحها توُفي الى رحمة الله تعالى غودفروا دي بويون في القدس عَلَى اثر جرح اصابه في حملة (قيل) عَلَى حيفا ٠ وكان سقوط هذه المدينة آخر انتصار بُشر به قبل وفاته ٠

سنة ١١٨٧ استولى عليها صلاح الدين الايوبي بعد انتصاره الشهير عَلَى الافرنج في حطين (على مقربة من مدينة طبريا) في الحملة الصليبية الثانية

سنه ١١٩١ لما استولى الصليبيون عَلَى جارتها مدينه عكا دمرها صلاح الدين حتى لا يترك للفاتحين ما يغنمون وتركها قاعاً صفصفاً ٠ اما الصليبيون فانهم اعادوا بناءها وشادوا بيوتها وازهروا اعمالها ٠

و بقيت تحت امرتهم بموجب المعاهدة مع صلاح الدين وبعده مع خلفائه عَلَى ان تكون مدن الساحل من صور الى يافا بيدهم ٠

سنة ١٢٥٠ حصنها (الفديس لويس ملك فرنسا) مع باقي مدن الساحل ٠ اما نزوله في عكا جارتها فكان بهذا التاريخ وخروجه منها سنة ١٢٥٤

سنة ١٢٦٠ — ١٢٧٠ عانت مع باقي مدن الساحل مشقات وحروبات ضد الظاهر بيبرس البندقداري سلطان مصر وبعده ضد خليفته قلاوون ٠

سنة ١٢٩١ اضطر الصليبيون الى اخلائها في ٤ تموز كما انهم اخلوا في ذات الشهر صور وصيدا وبيروت وفي آب عتليت (جنوبي حيفا) وقد كانوا في ايار قد ابتعدوا عن عكا بعد معارك دموية نشبت بينهم و بين سلطان مصر الاشرف (بن قلاوون) الذي حمل عَلَى هذه الجهات حملات عنيفة بجحافله المؤلفة من ١٤٠٠٠ مقاتل و ٦٠٠٠ خيال: وعقيب هذه الحروبات كان جلاء الصليبيين عن البلاد الفلسطينية ٠

سنة ١٥١٧ وقعت مع جارتها عكا في حوزة الاتراك في عهد السلطان سليم ٠

سنة ١٧٥٠ جاءها ضاهر العمر امير عرب الزيادنه المقيم في

صفد بعد ان استولى على سائر مدن الجليل منها طبريا سنة ١٧٣٨ وعكا سنة ١٧٤٩ ودك حصونهـا وهدم بيوتها جزاء معصيتها له ولكنه مـا عتم ان شيد مدينة غيرها داخل الخليج على بعد عشرين دقيقة شرقيهـا وهي المدينة الحالية وحوّطها بسور منيع بابراج على جهاته الاربع يحميها كلها برج حصين معروف ببرج (ابو سلام) قائم على رابية من الجبل مشرفة على المدينة . واطلاله لا تزال باقية الى ايامنا يعرفها الاهلون بالبرج .

سنة ١٧٧٥ مرّ بهـا محمد ابو الدهاب قائد جيوش علي بك عزيز مصر بعد ان حرق دير الكرمل وذبح رهبانه وكان قاصداً عكا ولكن المنية عاجلته قبل اتمام عمله . وفي ذات السنة قُتل ضاهر العمر وتولى بعده الجزّار (الشهير)

سنة ١٧٩٩ اتاها نابوليون بونابرت بجيوشه فسلت اليه دون قتال وكانت تحت امرة الجزار حاكم عكا وأسر من مينائها سفينة انكليزية ملأى بالذخائر الحربية وجعل دير الكرمل مستشفى لجرحى الجنود الذين كانوا يصابون في حصار عكا واخيراً تركها راجعاً الى مصر بعد ان ارتدّ امام قلاع عكا . ويوجـد الآن امام كنيسة الدير على قمة الجبل نصب قائم فوق ضريح يضم عظام الجنود الذين تجندلوا في تلك المعارك

سنة ١٨٣١ احتلها ابرهيم باشا بن محمد علي باشا نائب الملك بمصر وجعلها مركزاً لقيادة جيوشه العامة وكانت يومذاك بولاية عبدالله باشا عامل الاتراك .

سنة ١٨٤٠ جاء اسطول مؤلف من دوارع انكليزية ونمساوية وتركية واصلاها ناراً حامية واحدث في اسوارها خللا كبيراً بعد ان سدّ بقنابله فوهات مدافعها التي ارادت ردّه عنها (ولا تزال ترى هذه المدافع المسدودة ملقاة على شاطئ البحر) ثم سلمها الى الاتراك .

سنة ١٨٩٨ جاءها الامبراطور غليوم الثاني عاهل الالمان (الخليع حالياً) زائراً وقد اقيم على قمة الجبل تذكاراً لهذه الزورة نصب نقش عليه تاريخ زيارته ولكنه هدم بعد الحرب العموميه .

سنة ١٩١٨ — في ٢٣ من شهر ايلول الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين جاءها الحلفاء بجيوشهم المحتلة يقودها الجنرال اللنبي ودخلها الانكليز بعد مناوشة مدفعية دامت اربعاً وعشرين ساعة .

— نظرة عامة بين ماضيها وحاضرها —

كانت حيفا استين سنة خلت مدينة ضيقة النطاق جداً محصورة ضمن سور يصل شرقاً الى المكان المعروف بالبوابة الشرقية (حيث مركز الحركة التجارية اليوم) ومكتب يوسف

بك الخوريـــي واخوانه حالياً قائم فوق مركز باب المدينة الكبير لذي كان يفتح ويقفل مساء وصباحاً كما هي عادة المدن الحصينة. وغربا الى دير اللاتين والساحة المعروفة اليوم بساحـــة العربات كانت بيادر المدينة خارج السور وفي هذه الجهة كان للمدينة ايضاً باب كبير آخر نظير الباب الشرقي. وجنوباً الى الشارع المعروف اليوم بالشارع الجديد وهو خارج مركز السور وشمالاً الى البحر. وهذه الجهات الاربع التي يعرفها جيداً والدونا والاكبر منا سناً من الاهالي كانت اقصى حدود المدينة.

سكانها واخلاقهم ومعيشتهم: لم يكن يزيد عدد السكان عَلَى الثلاثـــة الاف نسمة النصف مسلمون والنصف الآخر مسيحيون من الروم الكاثوليك بينهم نفر قليل جداً من الروم الاورثوذكس ومثله من اللاتين. يسكنون كلهم عَلَى السواء البيوت ذات القناطر المبنية بالتراب الابيض وهي اشبه الاشياء ببيوت سكان القرى في ايامنا الحاضرة. ويعيشون جنباً الى جنب عيشاً بسيطاً رخياً هنيئاً رائدهم السلام وقائـــدهم الاتحاد والوئام. شيوخهم يسهرون عَلَى بنيهم بعين العناية والرعاية ويديرون امورهم ويعنون بكل المسائل المتعلقة بالحاكم والاحكام وشبانهم يحترمون شيوخهم ويجلون آراءهم اكبر محل ويسمعون كل كلمة يقولونها كما انهم يطيعون في كل امر.

لا همّ لهم الا القيام باشغالهم الخصوصية ثم قضاء باقي الاوقات بالهناء والسرور مؤلفين فرق متفرقة (كانت تسمى صرب او صربة) يعين لكل منها رئيس (شيخ الشباب) وامين صندوق ووكيل اعمال الغرفة او البيت الذي يستأجرونه لاجتماعاتهم المقتصرة على الزهو والتسلي والانشراح . وهذه الفرق هي اشبه الاشياء بجمعياتنا اليوم وماالفرق الاان هذه تعنى بالامور السياسية او الادبية اوالاقتصادية الى غير ذلك وتلك لا علم لها بشيء من هذه الامور . اما ملابسهم فكانت على الاطلاق السروال من الكتان او (الزريقه — المضام) او الجوخ والصدرة (المعروفة بالمنتيان والدامر) وعلى رؤوسهم الطربوش المغربي . ومما يذكر ان لكل مقامه في الهيئة الاجتماعية . فاكابر القوم والشيوخ لهم الكلمة المسموعة وفي مجالسهم يكون الشاب متأدّبا متهيباً محترماً كما ان متوسط الحال لم يكن لينظر الى الاغنى منه نظر المتشبه فيعيش عيشه او يلبس لبسه وكذلك الفقير فقد كان مقتنعاً بحالته وحافظاً مركزه . ومن طبعهم قديماً وحديثاً الوداعة واللين وحب السلام والقيام بالواجب عليهم نحو رؤسائهم ولكن اذا مست عزة نفوسهم او اهين جانبهم اوشعروا من غريب حطاً بكرامتهم تراهم يهبون للاخذ بثأرهم غير صابرين على الضيم او غامضين على القذى ولا يسكتون الا بعد ان يكونوا اعطوا خير

درس لمن تحرش بهم اياً كان ومهما كان مقامه في الهيئة الاجتماعية .

الاشغال : لا تجارة تذكر في حيفا ولا صناعة فكان البعض يفلح الارض والبعض الآخر يشتغل بالبحر مسلماً ما يزيد من محصولات البلاد الى المراكب الشراعية الرومية لقاء ما كانت تحمله اليهم من القيشاني والملح او غيره مما كانت المدينة في حاجة اليه من محصولات الخارج . وغيرهم كانوا محترفين حرفة الحياكة وشغل الاحذية والباقون ملازمون حوانيتهم في سوقهم الصغير الهادىء الحركة اذ لا وارد اليه ولا صادر منه حتى ولا غريب يقصده للتجارة كما انه لم يكن ثمت مجال لعربات السفر والنزه المائلة المدينة اليوم والسيارات لم تعرف الا مؤخراً مدة الحرب العمومية . اما السفن البخارية فانها بالطبع لم تأتِ ميناءها الا بعد ان حدث التغير في حالتها التجارية .

العلوم : كانت حيفا مكتفية بمكتب صغير للمسلمين في جامعهم ومدرسة للمسيحيين في كنيستهم يقوم الشيخ او الشماس الذي هو الرئيس والناظر والاستاذ بتلقين الصغار مبادىء القراءة العربية وبعض سور القرآن عند المسلمين والرسائل والاكطوبخوس ومزامير داود عند المسيحيين . وعند ما ينتهي التلميذ من هذه الكتب يعتبر منهياً دروسه فيرسل الى والديه باحتفال كبير ليعنيا بامر تعليمه

الكتابة على احد كتبة دار الحكومة او التجار . وهكذا فانه لم يشتهر فيها اديب ولم يخرج لهذا التاريخ منها كاتب ولم يسبق ان اشتغل احد الحيفاويين بالادب .

حكومتها: كان احد كبار سكانها يتسلم زمام امورها تحت اسم (المتسلم) ويكون ممثلا للحكومة ومرجعه المتصرفية عكا ثم عينت مديرية وبعدها قائمقامية يتساعد الحاكم مع القاضي وشيوخ البلدة على استتباب الامن والسكينة مع نفر قليل من الجند الوطني .

التبدل في حالتها

لما استتبت السكينة في البلاد بعد ان كانت مطمح ابصار الفاتحين والغزاة . قسمت الحكومة التركية اراضي حيفا مناصفة بين اهليها فكانت الجهة الغربية سهلا ووعراً من نصيب المسيحيين والجهة الشرقية للمسلمين ثم بتمادي الايام لما امن الاهلون وتأكدوا ان الاراضي اضحت ملكهم المشروع لا ينازعهم عليها منازع طمحوا الى تكبير دائرتهم وتوسيع نطاق اعمالهم نافضين عنهم غبار خمول تسكعوا تحته طويلا واخذوا بالتتابع يشيدون البيوت على السور المحيط بالمدينة ثم تعدوه بعد ذلك من كل جهاته . وما هي الا بضع سنوات حتى وجدت في المدينة حركة لم تعهد فيها من قبل وشاد الرهبان الكرمليون المقيمون على رأس الكرمل ديرهم وكنيستهم

الرعوية على باب المدينة الغربي ثم جاءتها راهبات الناصرة وشدن ديرهن على شاطئ البحر بحدود ملك الدير غرباً . وقبيل حرب السبعين الفرنساوية — الالمانية ابتاع مستعمرو الالمان الاراضي الواقعة على بعد عشر دقائق الى الغرب واسسوا لهم فيها مستعمرة اتقنوا بناءها وهندستها ونظموا شوارعها وجعلوا في وسطها شارعاً كبيراً يمتد على خط مستقيم من شاطئ البحر حتى الجبل ترتفع على جهاته الاشجار الباسقة الاغصان المنسقة الترتيب بينها اروقة جميلة وممرات تحتاطها الزهور العطرية . وسنة ١٨٩٨ لما جاء عاهل الالمان الامبراطور غليوم الثاني بنى على الشاطئ على مستوى الشارع الكبير المخترق المستعمرة رصيف لنزوله (والرصيف المعروف اليوم بالبونط والمستعمرة المعروفة بالكولونية هما متنزه حيفا) . وكان شغل المستعمرين بادىء بدء فلاحة الارض وزراعتها ولا يزال هذا العمل شغل القسم الكبير منهم ثم تعاطى بعضهم اعمال التجارة واستيراد محصولات المانيا وبيعها فى اسواق بلادنا . هذا والاهلون وقد زاد عدد الغرباء بينهم من عرب وافرنج اخذوا يبنون البيوت الجميلة واصلين المدينة بالمستعمرة كما انهم لم يقعدوا عن تشييد المساكن الكبيرة على الجبل الى جنوبي المدينة ثم تعدوا بعد هذا وذاك الى المركز القديم لحيفا والى قمة الجبل و بنوا فيها ايضاً وغرسوا

في هذا المحل الاخير احراش السنوبر وخططوا بينهـا الطرقات وعبدوها حتى اضحى خير مكان يؤمه المصطافون اتقاء من حرارة الشمس المحرقة (والمكان معروف باسم الست نسبة الى سيدة انكليزية كانت شادت اول بيت فيه) .. ثم كثرت الاديرة وفتحت المدارس الاهلية والاجنبية لتلقين الاولاد صبياناً وبناتاً مبادىء العلوم الصحيحة .

اما في الجهة الشرقية فلم يكن الاهلون اقل اجتهاداً من جيرانهم فتعدوا السور ايضـاً وبنوا البنايات الشاهقة ثم جاءت شركة انكليزية وابتاعت ارضاً على بعد عشر دقائق الى الشرق سعياً وراء مدّ خط حديدي يسهل المواصلات مع الداخلية ولكن هذا المشروع لفت انظار الحكومة التركية بايام السلطان عبد الحميد الثاني فاخذته على عاتقها وشادت في حيفا محطة كبيرة جعلتها مركز مديرية السكة الحجازية التي مدت خطوطها الى الحجاز والى شمالي سوريا وهكذا سهلت كل مواصلة مع الداخلية وابتدأت حيفا بحياة لهـا جديدة وقد لفتت انظار العالم اليها فجاءها التجار والمتمولون واسسوا فيها المحلات التجارية والمصارف وكذلك البواخر والسفن فانها صارت ترسو في مينائها باوقات معينة وجعلت لها وكالات خصوصية كما ان الدول الاوربية ارسلت من يمثلها فيها

امام الحكومة المحلية (كقناصل ووكلاء قناصل) ثم اضحت محط رحال الحجاج في العالمين المسيحي والاسلامي يأتيها الاولون لزيارة مغارة النبي ايليا على رأس الكرمل ويذهبون منها الى الناصرة وطبريا والقدس والاراضي المقدسة والآخرون بواسطة السكة الحجازية يؤدون فريضة الحج . وقد زاد على حركتها التجارية حركة جديدة وصول الخط الحديدي العريض اليها من مصر بعد الحرب العمومية سنة ١٩١٨ .

وزبدة القول لقد تبدلت حالة حيفا تبدلا محسوساً واضحت اليوم غيرها في الماضي القريب والتحسن فيها والتقدم لا يزالان باطراد .

حيفا اليوم

هي مدينة متسعة الاطراف تصل غرباً الى رأس الكرمل وشرقاً الى نهر المقطع وشمالاً الى البحر وجنوباً الى قمة الجبل . اما شوارعها فلا تزال في وسط المدينة ضيقة اما في ما شيد من البيوت خارج موقع السور قديماً فالشوارع اكثر اتساعاً وانظم تنسيقاً

سكانها : لم يجرِ بعد احصاء رسمي انما تقدر الحكومة المحلية ان عدد السكان حسب ما تمكنت من معرفته بتعديل عدد الطوائف المختلفة كما أُخبرنا رسمياً (٣٤٠٠٠) اربعة وثلاثون الف

نسمة(١) تقسم هكذا : المسلمون ١٦٠٠٠ المسيحيون ١٣٠٠٠(٢)منهم ٥٠٠٠ من طائفة الروم الكاثوليك و١٠٠٠ من الروم الارثوذكس و١٠٠٠ من الموارنة و٧٠٠ من اللاتين و٣٠٠ من الانجيليين والباقون من الاجانب (انكليز وفرنساويين والمانيين الى غير ذلك) اما اليهود فمجموع عددهم ٥٠٠٠ نسمة بما فيه جميع المهاجرين الذين اتى بهم وعد بلفور الى حيفا . يعيشون كلهم بوفق وسلام منهمك التاجر بتجارته والعامل بعمله والصانع بصناعته والكاتب بحساباته والمأمور بالقيام بوظيفته . انما التنافر واقع بين الوطنيين (المسلمين والمسيحيين) وبين اليهود (الصهيونيين) من جرّاء وعد بلفور (في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧) الجاعل فلسطين وطناً قومياً لليهود . وقد ادى هذا الوعد بالوطنيين الى اقامة مظاهرات كبيرة جرت السنة الماضية والتي قبلها احتجاجاً عَلَى هذا الوعد الذي عدّه الوطنيون حكماً جائراً بحقهم . وآخر مظاهرة كانت في اليوم الثامن والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٢١ حصرت فيها الحكومة المسلمين بواسطة رجال الدرك ضمن جامعهم الكبير وطاردت المسيحيين الذين كانوا خارجين

---

(١) الارجح ان السكان يزيدون عن هذا العدد

(٢) اظن ان المسيحيين يعادلون المسلمين في العدد كما ان عدد انفس كل طائفة وخصوصاً طائفة الروم الكاثوليك يزيد عما هو معين اعلاه .

من احتفال ثاني يوم عيد الفصح الكبير من كنيسة الروم الكاثوليك لينضموا الى المسلمين وقد اطلق في هذا الاثناء قائد رجال الدرك النار فاصاب فتى مسيحياً في الرابعة عشرة من عمره (ادوار بن جريس منصور) ارداه قتيلا وكذلك رجلا عجوزاً من المسلمين (مصطفى العجوز) ومن ثمَّ منعت المظاهرات واكتفى الاهلون بالاحتجاج شفاهياً وكتابة وبواسطة البرق والصحف .. ومما يلاحظ ان هذا الوعد وهذه السياسة بحق فلسطين نبهت شعور سكان حيفا الى تتبع مجرى السياسة حتى اضحى الكبير منهم والصغير يتحدث بها في مجتمعاته الخصوصية والعمومية بيد انه لم يكن ليفقه لها معنى قبل الحرب العمومية ... اما عوائد الحيفاويين اليوم فقد اضحى القسم الكبير منهم يتمثل بالاوروبيين رجالا ونساء ان بالمعيشة البيتية او بالحياة الاجتماعية او باللباس الافرنجي حتى بعضهم بالقبعة ولكن غطاء الرأس على العموم هو الطربوش النمساوي الطويل الذي يلبسه رجال تركيا . والقسم الاكبر وهو المسلمون (الاَّ نفر قليل منهم) ورجال العمل اي العمال من المسيحيين لا يزال يلبس الرداء (المعروف بالغباز او الصاي) . الشيوخ يحبون المحافظة على التقاليد القديمة والشبان ينزعون الى تقليد كل شيء جديد والى التشبه بكل غريب يرونه (حتى بعضهم بحلق الشوارب) وكلهم على

الاطلاق مسيحيون ومسلمون يحبون الزهو والانشراح والتنزه وتراهم قبيل الغروب بعد ان ينتهوا من اشغالهم يقصدون المتنزهات لترويح النفس وخصوصاً في يومي السبت والاحد . ولهذا كثرت اماكن الصور المتحركة والمسارح العمومية والقهاوي والحانات و ياتيها من وقت الى آخر اجواق مصرية لتمثيل الروايات التي اضحى اقبال الاهلين عليها كبيراً . .

حكومتها : هي مركز منطقة فينيقيا تضم اليها قضاءها الاصلي على زمن تركيا وكذلك مدينة عكا وقضاءها وستكون قريباً على ما عرف مركز قضاء فينيقيا والجليل اعني الناصرة وطبريا وصفد وكل ما يجاورها من المدن والقرى . تولى حكومتها منذ الاحتلال باسم بريطانيا العظمى الجنرال كينج وهو اول حاكم للمدينة اقام فيها يومين تبعه الماجور ابرامسون مدة ثلاثة ايام فقط ثم جاء الكولونل ستورس حاكم القدس حالياً و بعده بالوكالة الماجور نوت ثم الكولونل ستانتون باشا واخيراً في اول تموز سنة ١٩٢٠ الكولونل سايمس وهو حاكمها الحالي

حالتها الدينية : في المدينة كما سبق وقلنا ثلاث ملل معروفة . لاسلامية والمسيحية واليهودية . وتوجد ديانة جديدة اضحى امرها اليوم معروفاً وهي البهائية . اما المسلمون فلهم جامعان لاتمام فرائضهم الدينية واحد يعرف بالجامع الكبير كائن في وسط المدينة والثاني

الجامع الصغير عَلَى بعد دقيقتين منه الى الشرق . ولهم مقام الخضر يؤمونه للزيارة وهو واقع عند اقصى حدّ المدينة الى الغرب في سفح جبل الكرمل وهو في اعتقادهم مقام الملاك جبرائيل ومنهم من يقول انه مدرسة الانبياء اما في اعتقاد المسيحيين فهو مدرسة النبي ايليا .. اما المسيحيون فلكل طائفة كنيستها الرعوية بادارة كهنتها وقسسها وهي مركز مطرانية لطائفة الروم الكاثوليك ومطرانها الحالي المقيم دائماً فيها سيادة الحبر العلامة غريغوريوس حجار رئيس اساقفة (متروبوليت) عكا وحيفا والناصرة وسائر الجليل وكذلك لكل دير من اديرة الرهبانيات المتعددة كنيسة تقام فيها فروض الديانة . ولهم ايضاً مقام النبي ايلياوهو المعروف بدير مار الياس عَلَى رأس الكرمل عَلَى بعد ٤٥ دقيقة من المدينة فيها المغارة التي كان النبي يتردّد اليها حال وجوده على وجه الارض وهو مزار تاريخي يأتيه المسيحيون للزيارة من اقطار العالم (١) .. اما اليهود فلهم كنيسهم ولا مقام ديني تاريخي لهم للزيارة .. تبقى البهائية التي اتينا على ذكر تاريخها بالتفصيل في كتابنا (عبد البهاء عباس والديانة البهائية) . فللبهائيين في حيفا مقام الباب اصل ديانتهم وقد أُتي برفاته من بلاد الفرس سنة ١٩٠٨ ووضعت في محل شادوه في

(١) سوف نفرد لتاريخ الكرمل مقالاً عَلَى حدة

منحدر جبل الكرمل وضعت الى جانبه جثة عبد البهاء عباس الزعيم الاكبر الذي توفي في ٢٨ من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢١ ويقدسون هذه المدينة ايضاً لانها اول ارض داسها البهاء والد عبد البهاء صاحب الديانة البهائية في هذه الديار سنة ١٨٦٨ ومنها اقتيد الى مكان اسره في عكا . وحيفا كانت المرجع الاعلى للعالم البهائي بحياة الزعيم الاكبر عبد البهاء عباس اما اليوم فالزعامة بتنازع بين حزب المتوفى الذي اسندها افراده الى شوقي افندي حفيد عبد البهاء من ابنته مدعين ان وصية الفقيد تنص على ذلك وبين محمد علي افندي (الساكن في قصر البهجة في ضواحي عكا) اخ عبد البهاء وابن صاحب الشريعة وهو يدعي حق الزعامة حسب وصية البهاء والده ولا ندري ماذا يكون من امرهم في المستقبل

حالتها التجارية : كانت تجارة حيفا في زهو وزهور وتوسع مطرد ولكن هذا المركز قد تضعضع اخيراً من جراء الفصل بين سوريا وفلسطين ووضع الحواجز الجمركية . فيها تجار الحبوب خصوصاً وهي تعد مستودع هذا الصنف لفلسطين وحوران . وتجار مال القبان والمانيفاتورة وتجار العمولة (الكوميسيون) . تشحن اغلالها الى اوربا كما انها تستورد منها ومن اميركا ومصر وسائر اقطار العالم البضائع التي تحتاج اليها البلاد . اسست فيها في اول تموز سنة

١٩١٩ غرفة تجارية تعنى بالحالة الاقتصادية كل العناية وتسهل اعمال التجارة للاهلين وتمثلهم امام الحكومة في كل مخابرات ومراجعات في صالح التجارة بواسطة الاعضاء الاثني عشر (النصف مسلمون والنصف الآخر مسيحيون) الذين ينتخبهم قانوناً التجار مرة كل سنتين مع رئيس لها(١) و يعقدون جلساتهم مرة كل اسبوع يقتصر البحث فيها على التجارة وفروعها ومطاليبها لحيفا . اما مقرراتهم فيسجلها كاتم الاسرار الملازم الغرفة دائماً وينفذ ما هو للتنفيذ منها . وقد برهنت اعمالها لهذا التاريخ على غيرة الاعضاء ونشاط القائمين بادارتها الذين لم يألوا جهداً في سبيل مخابرة الحكومة وملاحقة المراكز الايجابية لتسهيل اعمال التجارة وحرية اصدار الحبوب التي تزيد عن الاهلين وكذلك السكة الحديدية وادارة الجمرك والمهاجرة والسفر وو كالات البواخر وادارات البريد والبرق والتلفون لتسهل اشغال التجار . وقد كانت هذه الغرفة بادىء بدء مؤلفة من المسلمين والمسيحيين واليهود ولكن الاخيرين انسحبوا منها من مدة لانهم لم يلبوا الى طلبهم بتعيين مع كاتم الاسرار معاوناً منهم لاستعمال اللغة العبرية واسسوا لانفسهم غرفة خاصة اعترفت بها الحكومة

---

١) رئيس الغرفة التجارية كان في السنتين الاوليين الوجيه يوسف بك الخوري ورئيسها الحالي بموجب الانتخاب الاخير السيد ابو الخير المرقع

المحلية رسمياً . وقد عقد في حيفا بناء على طلب الحكومة مؤتمر تجاري عام في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢١ حضره فخامة المندوب السامي السر هربرت صموئيل ومدير التجارة العام في فلسطين وممثلو تجار سائر المدن(١) . ودلالة على حركة حيفا التجارية وحتى يكون للقارئ الكريم فكرة فيها نذكر هنا ما بلغت واردات الجمرك وصادراته حسبما عرفناه رسمياً من حضرة مدير الجمرك الخواجه سليم الحداد وذلك في السنتين اللتين تبتدىء الاولى منهما في شهر آذار سنة ١٩١٩ وتنتهي في آذار سنة ١٩٢٠ والثانية في آذار سنة ١٩٢٠ وتنتهي في ذات الشهر من سنة ١٩٢١ . فمجموع واردات الجمرك في السنة الاولى ١٦٢٧٣٨١ وصادراته ٢٧٠٠٥٧ من الليرات المصرية وفي الثانية ٢٠٢٣٥٩٤ وصادراته ١٩٣٠٧١ ليرة مصرية . اما السنة الاخيرة التي تنتهي في آذار من السنة الحالية فلم تتم بعد ميزانيتها

حالتها السياسية بفضل الجمعيتين الاسلامية والمسيحية (٢) اللتين شكلتا على اثر الاحتلال اضحت الحركة السياسية او بالحري الوطنية

(١) مثل تجار حيفا في هذا المؤتمر السادة ابو الخير الموقع وعبدالله مخلص ورشيد الحاج ابرهيم وتوافيل بوتاجي ومخائيل توما

(٢) رئيس الجمعية الاسلامية فضيلة مفتي حيفا الشيخ محمد مراد ورئيس الجمعية المسيحية الوجيه فؤاد بك سعد .

مما ينظر اليها بعين الاهتمام واراء حيفا وافكارها ومقرراتها لتعدّ بين اراء اوليات المدن الفلسطينية امام الحكومات وقد جاهدت ولا تزال تجاهد ضد وعد بلفور الشهير كما ان اول مؤتمر فلسطيني رسمي عام مثل جميع طبقات الشعب من سائر جهات فلسطين واقرّت به الحكومة انه يتكلم بلسان الشعب عموماً عقد فيها من ١٣ الى ١٩ من شهر كانون الاول سنة ١٩٢٠ وهو المعروف بالمؤتمر الفلسطيني الثالث العام الذي ترأسه موسى كاظم باشا الحسيني (من القدس) وكان نواة العمل والحياة للامة وفيه انتخبت اللجنة التنفيذية الاولى لتنفيذ مقررات المؤتمر والاشراف على الحالة في فلسطين وتمثيل اهليها امام الحكومة وقد جعلت مركزها الرئيسي في القدس (١) وكذلك ارسلت حيفا من يمثلها في المؤتمر الفلسطيني الرابع (٢)

---

(١) شكل هذا المؤتمر باقتراح الاستاذ العلامة الشيخ سليمان التاجي الفاروقي من الرمله وقد اشترك به من سكان حيفا فضيلة المفتي الشيخ محمد مراد والسادة عبدالله مخلص وابو الخير الموقع وامين نورالله ومعين الماضي واحمد الامام ورشيد الحاج ابرهيم ورفيق بك التميمي من المسلمين . وابرهيم صهيون واسكندر منسي ورجا بك الرئيس ونجيب نصار ووديع البستاني وتوافيل بوتاجي وتوفيق الجدع وكاتب هذه الاسطر من المسيحيين .

(٢) ممثلو حيفا في هذا المؤتمر : حضرة المفتي الشيخ محمد مراد والسادة عبدالله مخلص . رفعت بك الصلاح . معين الماضي . احمد الامام . رشيد الحاج ابرهيم . رفيق بك التميمي من المسلمين . وفوءاد بك سعد ونجيب نصار وتوافيل بوتاجي وقسطندي مدور وكاتب هذه الاسطر من المسيحيين

الذي عقد في القدس في ٢٥ ايار سنة ١٩٢١ برئاسة ايضاً موسى كاظم باشا الحسيني وقد انتخب فيه الوفد الذي ذهب الى اوربا برئاسة رئيس المؤتمر نفسه في ١٩ تموز سنة ١٩٢١ لمعالجة القضية الفلسطينية والدفاع عن حقوق الاهلين امام دوائرها وهو لا يزال هناك في (لندن) يجاهد ويناضل (١) اما الحكومة المحلية فانها تعتبر الجمعيتين ممثلتين للوطنيين من مسحيين ومسلمين وتفاوضهما وتخاطبهما بكل ما له علاقة بالمدينة

حالتها الادبية :

١ المدارس . همّ كل رهبانية تأتي حيفا فتح المدارس لابنائها صبيانا وبناتا وتعليمهم مبادئ العربية والافرنسية وامور ديانتهم وهكذا تعدّدت المدارس بتعدد الاديرة اهمها مدرسة اخوة المدارس المسيحية للصبيان ومدرسة راهبات المحبة وراهبات الناصرة للبنات كما ان المسلمين حسنوا مدرستهم الابتدائية وطائفة الروم الكاثوليك شادت سنة ١٩٠٤ مدرسة وطنية كبيرة ضمت ولا تزال تضم بين جدرانيها

---

(١) اعضاء هذا الوفد هم الرئيس موسى كاظم باشا الحسيني (القدس) والسادة توفيق ابو حماد (نابلس) امين بك التميمي (نابلس) معين بك الماضي (حيفا) ابرهيم شماس (القدس) شبلي الجمل (يافا) وهذا الاخير هو السكرتير

لا اقـل من ٣٠٠ تلميذاً (١) ثم حذت حذوها الطائفة المارونية وكذلك الروم الارثوذكس وهكذا فقد اضحى العلم قريب المتناول على حيفا واضحى عدد المدارس فيها اليوم ٣٠ بين مدارس للصبيان والبنات منها ٣ للمسلمين و١٧ للمسيحيين و ١٠ لليهود. فلو عدّلنا عدد الطلبة في كل مدرسة ٢٠٠ فقط (لان منها مـا يزيد عن هذا العدد ومنها ما يقل) لكان عدد الذين يتعلمون ٦٠٠٠ باقل تعديل اما هذه المدارس فكلها اجنبية الا المدارس الطائفية المذكورة اعلاه فانهـا وطنية اهلية محض يصرف عليها من جيوب الاهلين ولغتها الرئيسية هي اللغة العربية وقد اخرجت ولا تزال تخرج شبانا ادباء شغلوا اهم مراكز المدينة. فمنهم الاديب التاجر والكاتب والصانع وموظف المصارف والسكة الحديدية ودائرة الحكومة وغير ذلك.

اما اللغات التي تدرس في المدارس اليوم فهي العربية والانكليزية والفرنسية وعند اليهود العبرية ومنها مـا تكتفي باللغتين العربية والانكليزية وتوجـد مدرستان تزيد على الثلاث لغات المذكورة اللغة الايطالية وثلاث اخرى الالمانية اما العبرية فلا تدرّس الا في

---

(١) لما كان لانشاء هذه المدرسة اهمية كبرى في تطور حيفا الادبي وضعت لها تاريخاً على حدة يبحث في سبب تشييدها وكيفية سيرها مع اهم ما طرأ عليها الى وقتنا الحاضر.

المدارس اليهودية مع الانكليزية واخيراً العربية .

٢ المكاتب : لم تعرف حيفا قبل سنة ١٩١٤ مكتبة عمومية فكانت المدارس تأتي بما هي في حاجة اليه رأساً من مكاتب بيروت واوروبا ولكن سنة ١٩١٤ اهتم الخواجه يوسف فارس آصاف بتأسيس مكتبة تحت اسم (المكتبة الجامعة) ولكنها لم تلبث ان اقفلت واوقفت اعمالها ثم ارسلت بضاعتها بعد ذلك الى بيروت بسبب اضطرار صاحبها اللبناني الاصل الى النزوح الى مسقط رأسه كسروان . وما وضعت الحرب العمومية اوزارها حتى رجع الى اعادة تأسيسها بشراكة كاتب هذه الاسطر في ايار سنة ١٩٢٠ ثم انفرد بها كاتب هذه الاسطر مع اخيه حنا وبدل عنوانها باسم (المكتبة الوطنية) في ١ كانون الثاني سنة ١٩٢١ وهي اليوم المكتبة الوحيدة في حيفا كما انها اول مكتبة يقوم بها حيفاوي تعنى ببيع الكتب المدرسية والعلمية والتاريخية والادبية والدواوين الشعرية باللغات العربية خصوصاً والفرنسية والانكليزية وكل ما يلزم المدارس والتجار من الادوات الكتابية وهي تستورد بضاعتها من بيروت ومصر واوروبا وقد بدأت بايجاد لها مطبوعات خصوصية كما انها انشأت مجلتها « الزهرة » وهي عازمة على ايجاد نادٍ تجعل فيه الكتب والجرائد والمجلات

خدمة للادب ولتسهيل المطالعة على الادباء . ويوجد في المدينة محلات مسيحية ويهودية تعنى ببيع الادوات الكتابية فقط ولوازم التجار ومنها ما تبيع الكتب العبرية او الانكليزية

٣ً الجمعيات والنوادي : عدا الجمعيتين المسيحية والاسلامية اللتين مرّ بنا الكلام عنهما في الحالة السياسية . وعدا الجمعيات الطائفية لخيرية والاخويات الدينية الكثيرة العدد توجد في حيفا جمعية الشبيبة المسيحية (١) وهي ادبية تدور مباحثها في اجتماعاتها حول الامور الادبية وتمثل من وقت الى آخر الروايات ذات المغازي الحسنة العائدة بالنفع على الجمهور . وتوجد جمعية السيدات (مسيحية) وكذلك جمعية تهذيب الفتاة (اسلامية) . وقد تأسست اخيراً جمعية من بعض الموظفين الانكليز والوطنيين لتعزيز اللغة الانكليزية . وكذلك أسست جمعية النهضة الاقتصادية العربية وغايتها كما هو معروف في قانونها انهاض البلاد علماً وتهذيباً وتعليماً اقتصاداً واخلاقاً والعمل بكل ما يعود عليها بالخير والنفع

---

(١) رئيسها الشاب الاديب السيد اديب الجدع . أُعيد تأسيس هذه الجمعية في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ بموجب ترخيص من الحكومة المحلية وهي نفس الجمعية التي كانت معروفة قبل الحرب باسم نهضة فتيان الروم الكاثوليك وقد اوقفت سيرها الحرب التي شتتت شمل اعضائها .

متذرعة لذلك بما تبلغه وسائل الجمعية واعضائها من الجهد (١) ولها الحق بموجب نص قانونها ان تشكل هيئات كلية في المدن والحواضر وهيئات جزئية في القرى تربطها جميعها لجنة عليا ينتخبها المؤتمر الذي يعقد بعد تنظيم هذه الهيئات وقد بدأت بتشكيل نقابات لكل مهنة وصنعة وفن ومن جملة هذه النقابات (حلقة الادب) وغاية هذه الاخيرة تعزيز اللغة العربية وتشجيع فن الخطابة والنظر في كل نقيصة من نقائص مجتمع حيفا الادبي واصلاحه وكذلك التعليم البيتي ونشر الكتب الادبية ولا تقبل بين اعضائها العاملين الا حملة الاقلام والخطباء ومن مارس فن الادب نثراً ونظماً والمخربين الذين يميلون الى الادب

---

(١) السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل في حيفا هو اول من نادى عَلَى صفحات جريدته الى تأسيس هذه الجمعية وسعى مع نخبة من وجهاء البلدة ومحاميها ومفكريها وادبائها وراء وضع قانون اسامى لها صدق من الحكومة ثم أقيمت الحفلة الافتتاحية في ٢٢ شباط سنة ١٩٢٢ وباجتماع اخر عام في ١٦ اذار سنة ١٩٢٢ جرى انتخاب الهيئة الكلية لسنة واحدة وعدد اعضائها سبعة وهم السادة نجيب نصار وديع البستاني . القس صالح سابا . محمد علي بك التميمي . عبد الله مخلص رشدي الشوا وتوافيل بوتاجي ثم سمت هذه الهيئة الخواجه ميشيل جريس الخوري سكرتيراً لها .

و ينشطونه (١) اما النوادي فلا يوجد منهـا في حيفا بعد الاّ واحد أسسته السكة الحديدية لموظفيها ولغيرهم من ادباء القوم والسعي اليوم حثيث لايجاد نادٍ وطني عمومي وقد أسس اخيراً نادٍ بعنوان « النادي الكاثوليكي » قام به نخبة من شبان طائفة الروم الكاثوليك ادباء وموظفين وعمـال وشادوا بهمة جديرة بالتسجيل و بظرف اسبوع واحد فقط محلاً رحباً واسعاً جميل الهندسة كامل المعدات في الجهة الغربية في احسن بقعة من اراضي حيفا تخص وقف الطـائفة . غايته التأليف بين القلوب وتوحيد الكلمة وايجاد للرجال محلاً يمكنهم ان يعتاضوا به عن المحلات العمومية كالقهاوي والحانات والمسارح الغير الادبية (٢)

---

(١) فكرة تاسيس هذه الحلقة تمخضت بادىء بدء في رأس الكاتب المعروف الخواجه توفيق زيبق واستشار بامرها الادباء اصدقاءه فاستحسنوا فكرته ونشطوه ولكنهم امهلوه الى ان تأسست جمعية النهضة الاقتصادية العربية فباشروا وهم السادة توفيق زيبق المذكور ورفيق بك التميمي والدكتور قيصر الخوري واديب الجدع ويوسف الخطيب وعبد الرحمن رمضان وكاتب هذه الاسطر بتأسيس هذه الحلقة وسنوا لها نظاماً في جلسة تمهيدية عقدت في ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٢

(١) دشن هذا النادي غبطة بطريرك الطائفة ديمتريوس الاول في ٢ تموز سنة ١٩٢٢ الذي كان بزيارة رعوية في حيفا بحفلة شائقة اقامها مؤسسو النادي وحضرها عدا غبطة البطريرك سيادة غر بغور يوس

٤ً المطابع : اول مطبعة أتي بها الى حيفا هي المطبعة الوطنية لباسيلا الجدع سنة ١٩٠٨ ثم جاءت بعدها مطبعة جريدة الكرمل سنة ١٩٠٩ لنجيب نصار ثم تبعها بعد ذلك مطابع جريدة النفير لايليا زكا وغيرها لليهود حتى اضحى عدد محلات الطباعة اليوم ٨ اربعة منها للوطنيين ومثلها لليهود ولا يوجد غير هذه المطابع في كل ما جاور حيفا من المدن كعكا والناصرة اما في طبريا فتوجد مطبعة صغيرة لليهود ومثلها في صفد

٥ً الصحف : يصدر في حيفا اليوم اربع جرائد ومجلة وكلها عربية وهذه اسماؤها :

الكرمل : جريدة عربية تصدر مرتين في الاسبوع لصاحبها السيد نجيب نصار واشتراكها في فلسطين ١٢٥ غرشاً مصرياً و ١٥٠ في الخارج . أنشئت سنة ١٩٠٩ وتوقفت مدة اربع سنوات الحرب الكبرى وعادت الى الصدور بعدها في بدء سنة ١٩٢٠ وهي اليوم في سنتها التاسعة التي ابتدأت سنة ١٩٢٢ وقد بلغ مجموع اعدادها لهذا التاريخ ٨٣٠ عدداً اما موادها فغزيرة ومباحثها تدور حول الوحدة العربية وكتاباتها بهذا الشان

تجار مطران الابرشية العكاوية وسيادة باسيليوس الخوري مطران بيروت وتوابعها والرؤساء الروحانيون وجمع كبير من الاهلين .

شهيرة وقد عالجت القضية الفلسطينية معالجة اكسبت صاحبها اسم اب فلسطين خصوصاً وهو اول من لفت الانظار الى الصهيونية واخطارها وقد وضع لها كتاباً طبعه قبل الحرب ٠

النفير : جريدة عربية تصدر يوم الخميس من كل اسبوع لصاحبها السيد ايليا زكا واشتراكها في فلسطين ١٠٠ غرشاً مصرياً و ١٢٥ في الخارج ٠ أنشئت في الاسكندرية سنة ١٩٠٢ حيث صدرت مدة يومياً وبعدها انتقلت الى يافا حيث صدرت مدة سنة واحدة وبعدها الى القدس ثم الى حيفا سنة ١٩١١ وكانت نصف اسبوعية ثم توقفت ايام الحرب وعادت الى الظهور في ٢٣ ايلول ١٩١٩ وهي اليوم في عامها الحادي عشر ومجموع ما صدر منها من الاعداد ٢٩١٣ ٠ مباحثها اجتماعية محلية سياسية ٠ وخطتها اليوم وطنية ولها في خدمة البلاد وقفات جليلة ٠

الطبل : جريدة عربية تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع لصاحبها السيد ابراهيم محمد كريم واشتراكها الستوي ١٢٥ غرشاً مصرياً في فلسطين و ١٥٠ في الجهات ٠ أنشئت سنة ١٩١٩ في الشام وصدرت فيها مدة سنة واحدة ثم اضطر صاحبها الى الابتعاد بسبب الحوادث التي كانت بين الملك فيصل

والفرنسيين وصدرت في حيفا مدة شهرين واوقفت و بعدها صدرت في القدس مدة عشرة اشهر ورجعت بعدها الى حيفا حيث محل صدورها الآن وهي اليوم في عامها الثالث وقد بلغ مجموع ما صدر من اعدادها ١٧٧ . الجريدة فكاهية سياسية وكثيراً ما تلبس الجد لباس الهزل لمغازي وطنية او امور شخصية

السلام : جريدة عربية يهودية تصدر مرة في الاسبوع لصاحبها نسيم ملول (يهودي) واشتراكها ١٠٠ غرشاً في حيفا و١٢٥ في الخارج وهي اليوم في عامها الثالث ومجموع ما اصدرت من الاعداد ٧٦ . مباحثها اجتماعية وسياستها صهيونية بكل معنى الكلمة على رغم ادعاء صاحبها بانه يهتم للتقريب بين الوطنيين والصهيونيين . وعرف اخيرا ان قد اوقفت اعمالها لحصول صاحبها على وظيفة في القدس

الزهرة : مجلة ادبية روائية اخلاقية تاريخية فكاهية تصدر مرتين في الشهر لصاحبها كاتب هذه الاسطر اشتراكها ٦٠ غرشاً مصرياً في فلسطين و ٧٥ في الخارج وتقع بـ ٤٠ صفحة قطع كبير . أُنشئت في ١ ايار سنة ١٩٢١ باسم زهرة الجميل وكان عدد صفحات العدد ٣٢ صفحة (اي ٧٦٨ صفحة بالسنة)وقطعها صغير وموادها رواية مستقلة ورواية متتابعة مع

محض ادبيات وقصائد وفكاهات تتخللها . اما في سنتها الثانية فقد جعلت اسمها (الزهرة) وكبرت قطعها وجعلت صفحاتها ٤٠ كل عدد (اي ٩٦٠ في السنة) واصدرت عدداً ممتازاً سمته معرض الاقلام جمعت فيه نفثات لحملة الاقلام في فلسطين ثم اكملت بتقسيم كل عدد الى قسمين قسم فيه رواية مستقلة وقسم ثانٍ وهو الاكبر تحت عنوان معرض الاقلام تثبت فيه كتابات وقصائد لأشهر الكتاب والشعراء وكلها تكتب خصيصاً للزهرة . وهي اول صحيفة اصدرها حيفاوي . ومما يذكر ان رواياتها وكتاباتها على الاطلاق جديرة بمطالعة الشابات والشبان

هذه هي الصحف التي لا تزال تصدر في حيفا اما ما سبق وصدرت فكثيرة منها ما نقل الى غير جهات كالنفائس (مجلة ادبية اصاحبها السيد خليل بيدس صدرت مدة سنتين في حيفا ثم نقلت الى القدس وكذلك جراب الكردي (جريدة) فقد كان اول صدورها في حيفا لجميل رمضان وجانا ثم انتقلت من يد الى يد حتى اصبحت بين ايدي توفيق جانا في الشام وهاتان الصحيفتان هما اول صحف ظهرت في حيفا ظهرتا معاً في ١ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨ وقد ظهر غيرها كجريدة العصا . وشمندفر والصاعقة والحية وكلها صدرت وقتاً قصيراً وتوقفت ولم يبد لها اثر .

حيفا في الحرب الكبرى

لم اترك شيئاً حضرني عن حالة مدينة حيفا إن بتفتيش الاسفار القديمة او بحفظ التقاليد المنقولة عن شيوخنا او بما اعرفه شخصياً الاّ واثبته في هذا التاريخ ولم يبقَ لي الاّ كلمة صغيرة عن الحرب الكبرى كنت ارغب في عدم ذكرها كي لا اعيد الى القلوب تلك الذكرى المؤلمة لولا ان التاريخ الظالم لا يشفق ولا يرحم فهو يحفظها خير عظة للبنين عن الوالدين فلذا اجد نفسي مضطراً الى عدم اغفالها متحرياً فيها سرد الحقائق على علاتها كما شهدتها بنفسي وقد كان لكثير منها بعض التماس فيّ وكادت تودي بي الى غير هذا العالم ....

أُعلنت الحرب العامة في اوائل شهر آب سنة ١٩١٤ وحمل البرق اخبارها الى حيفا كما حملها الى سائر اطراف المعمور فتلقاها الحيفاويون بمزيد الاهمية والاهتمام واضحوا يتتبعون اخبارها وسير مواقعها بلهفة عظيمة غير ساترين تشيع البعض منهم لفرنسا والبعض الآخر لانكلترا والغير لايطاليا وروسيا واليونان والالمان الى غير ذلك من الدول المتحاربة حسب ما كانت تدفعهم اليه اهواؤهم واميالهم بل قل حسب ما غذوه

منذ الصغر من حليب الميل والمحبة الى هذه الدولة اوتلك . وكأن عمال الدولة التركية كانوا يرقبون من الاهلين هذه المظاهر بعين ساهرة حتى خاضت تركيا بدورها غمار الحرب في ٢ — ٧ من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ فقاموا لما كانوا يرونه من الاميال وقعدوا واعلنوا على الشعب بغضاً قتالاً ، ساعدهم على تنفيذ مآربهم بعض رجال دولة المانيا (الحليفة) وبعض من الاهلين الذين كانوا يتزلفون لرجال هذه وتلك خاطبين ودهم باضرار غيرهم خصوصاً اولئك (من حيفا ومن عكا) الذين وجدوها خير فرصة لاشباع مطامعهم او التشفي لعداوة سابقة او لاظهار نفوذهم الشخصي . فاتهموا الاهلين بالتفرنس والتأنكز حتى وبالجاسوسية التي والحق يقال لا يعرف الحيفاويون منها الا كلمتها العربية .

فعملوا على ايقاف بعض من طالت اليه ايديهم وسجنهم ونفي الكثيرين منهم الى الاصقاع النائية غير مشفقين عليهم ولا راثين لحالة نساء وبنات واطفال ينتظرهم الموت الاحمر ببعد رجالهم وآبائهم وابنائهم . والذي كان يزيد في الطين بلة زيارة بعض الدوارع الانكليزية ميناء حيفا لكشف تقوم فيه او لغاية في نفوس رجال السياسة او لضرب المحلات الالمانية والتركية (كمستودع الكاز مثلاً الكائن على شاطىء البحر في أقصى حد المدينة الى

الشرق . او الطاحونة الالمانية الموجودة عَلَى مقربة من محطة السكة الحديدية او دار قنصلاتو المانيا الكائنة في الجهة الغربية ملك الخواجه مراجل)

وكان في اثناء الضرب او بعده يهتم رجال الحكومة بالتفتيش والقبض عَلَى من يشعرون منهم حركة ظانين انهـا اشارة للدوارع حتى ومن يظنون انهم مرّوا ولو قلبياً بقدوم هذه الدوارع فيزجونهم في اعماق السجون او ينفونهم واكثر الناس اضطهاداً في حيفا كانت في بادىء الامر طائفة الروم الكاثوليك عَلَى اثر صدور حكم المجلس العرفي (الغيابي) عَلَى اسقفها الاكبر سيادة المطران غريغوريوس حجار الذي كان موجوداً في اوروبا فحصر بالاعدام متهمين سيادته بانه في خطبة له في فرنسا حرّض الشعب الفرنسي عَلَى محاربة الاتراك (يبدان سيادته كان أعقل من ان يجعل ابرشيته ورعيته بمثل هذه المواقف الحرجة) فوضعت الحكومة اليد عَلَى املاك الكرسي الاسقفي واملاك الكنيسة المسجلة عندها باسمه وأمسك وكلاؤه في عكا وحيفا وأبعدوا الى الشام وأهينت كهنته وكان الباقون عرضة كل يوم للسوق الى دار الحكومة لتأدية اجوبة عَلَى تهم تلقى عليهم .

وقد اقفلت المدارس الاجنبية وحجزت الاديرة واستعملت ثكنات او مستشفيات عسكرية كما ان الكنائس الطائفية منعت عن قرع اجراسها كالعادة . كذلك توقفت اعمال الجرائد خوف السقوط بجملة او بكلمة تكون الفاضية عَلَى اصحابها خصوصاً صاحب الكرمل الذي ما دخلت الحرب حتى أُخذت عليه غربيته ومساعيه في جريدته بشأن الوحدة العربية ومساعدته المنتدى الادبي العربي (الذي شُنق رجاله في بيروت ودمشق) كما انه أُتهم بقيامه ضد الاتحاديين وموالاته لدول التحالف (فرنسا وانكلترا وروسيا) فاضطر الى التغيب مدة سنين وثمانية اشهر في الناصرة ومرج ابن عامر وشرقي الاردن تحت زي الفلاحين والبدو ثم بُرئت ساحته على ان يساعد عَلَى تحرير الشرق في الشام (جريدة الجيش)

نفي الكثيرون كما قلنا لتهم تافهة او لمجرد فكرة طرأت عَلَى بعض رجال الحكومة بانهم سوف يقومون بما أُتهموا به . ولكن البعض اعلنت اسباب توقيفهم كافراد اسرتيْ انطون وجريس زحلان (وقد لاقى الاول منهما منيته في دار المنفى) فلقد أُتهمت هاتان الاسرتان بانهما اخفتا في بيتهما المدعوين (نخايل الصالح وابن غريب من سكان الناصرة وقد عرفا آتيين

للتجسس وانزلتهما دوارع الاعداء في حيفا فالقي القبض عليهما في الناصرة وسيقا الى الشام حيث نفذ فيهما حكم الاعدام) ..
وكذلك نفيت جميع الاسر الساكنة على شاطئ البحر متهمة انها عرضة للمخابرة مع من تخرجه الدوارع من الجواسيس الى الشاطئ وذلك على اثر ما عرفت الحكومة من نزول المدعو ابن دردس الى البر في ليلة كانت جماعة من النساء تستحم في البحر ورجوعه بعد ذلك من حيث اتى وقد توفي البعض منهم في المنفى

وقد منع على اثر هذه الحوادث التجول في شوارع المدينة ليلاً بعد الساعة العاشرة افرنجية خصوصاً المرور على شاطئ البحر بعيد الغروب كما انه حظر على الاهلين اشعاع انوار المصابيح في البيوت فلذا كانوا يضطرون الى سد كل منفذ يرمي على البحر او فضاء لياليهم في الظلمة المدلهمة خوفاً من ان ينبعث نور ولو ضئيل من شقوق نافذة او باب ليلاً يذوقون من الاحكام العرفية ما هم في غنى عنه .

اما الحادثة المؤلمة التي كاد الاهلون جميعاً يشتركون في ذوق مرارتها هي مسألة كتاب وجد في البريد كله طعن وقدح وذم في حق الحكومة المحلية . فارادت هذه معرفة الكاتب واوقفت في ٨ كانون الثاني سنة ١٩١٦ الخواجات

خليل صنبر وابنه وديع واسكندر منصور وجريس صهيون وميشيل جورج الخوري والياس رزق صهيون ثم في ١١ من ذات الشهر نجيب قشقوش وساقتهم الى الناصرة فالقدس حيث حوكموا امام الديوان العرفي بعد ان ذاقوا من السجن مرارة ومن الضرب الماً . ولكن لما لم يثبت عليهم شيئاً خصوصاً وكانوا والحق يقال عَلَى جهل تام بامر التهمة التي سيقوا وحوكموا لاجلها ، ساعد عَلَى ذلك كتاب آخر ظهر في حيفا بخط ذات كاتب الكتاب الاول فبرئت ساحتهم بشرط ان يبعدوا الى بلاد الاناضول (انقره - كيرشهر) وهكذا صار وأُلحق بالمتزوجين منهم افراد اسرهم (نساؤهم واولادهم) وبقوا هناك الى ان وضعت الحرب اوزارها هذا وقد كاد الكتاب الثاني يلحق بكثيرين من الحيفاويين اذى كبيراً وأقل الاشياء اتباعهم بالاولين لولا ان العناية ارسلت من ازاح الحاكم العسكري (قومندان الموقع البيكباشي احمد شكري الشامي الاصل) الذي ناهيك عن هذه الحادثة التي مسكها بكلتا يديه كان يسعى وراء ايجاد او نبش اقل حركة تسوم الاهلين الهوان والذل حتى اصبح مفزعتهم ولذا حفظ له الحيفاويون لحسن ذكرى (والمرء يذكر باعماله) . أزيح اذاً وأُتي بحاكم غيره (جميل بك « تركي ») عرف ان هذه الاعمال ما كانت الاّ

اشباعاً لشهوات بعض من لا ذمة لهم ولاضمير فسكت عن الكتاب الآنف الذكر وهدأت حوادث السجن والنفي والاضطهاد .

اما المعيشة في حيفا فكانت بالرغم عن القول بانها اهنأها بين كل مدن سوريا وفلسطين فقد كانت ضيقة جداً على اهلها الذين عرفوا بالتبذير وعدم توفير شيء لغدهم فتوقفت اعمالهم واقفلت محلاتهم واضطروا الى الاختفاء او التسليم للخدمة العسكرية من ابن ١٧ الى ٥٠ سنة . . لا ننكر ان الحبوب على الاجمال لم تقطع من حيفا ابداً حتى ان سكان جبل عامل ولبنان كانوا يأتون لشراء ما يقتاتون به ولكن أنى لمن لا درهم بين ايديه ابتياع قوته اليومي وقوت عياله قمحاً كان او ذرى او شعيراً خصوصاً وهو متخف عن انظار الجند او بعيد عن اهله في الخدمة العسكرية . فلذا تمكن الاهلون في السنة الاولى من الوقوف قليلاً امام هذه الضربات (ومن جملتها ضربة الجراد الزاحف في آذار ونيسان سنة ١٩١٦) ولكن اضطروا في السنة الثانية الى بيع جميع ما في بيوتهم من الاثاث والفرش وما في ايدي واعناق وآذان نسائهم من الحلى والاساور والعقود والاقراط الذهبية ليتساعدوا على هذه الحياة الصعبة اما في الثالثة فرهنوا او باعوا املاكهم بأقل الاثمان وأبخسها بقيم من الدراهم لم تكن لتدرأ عنهم غائلة الجوع

اكثر من شهر او على الاكثر شهرين وهكذا كثيراً من مات منهم جوعاً وعرياً وكثيراً ما كنا نسمع الرجال والنساء والاطفال يتضورون جوعاً ويصرخون رحمة او تراهم يفتشون بين الاقذار وفي زوايا الزقاقات عن قشور البرتقال والترمس وما يخرج من السمسم بعد عصره (الكسبه) ليسدوا به جوعهم وقد فتكت من جراء ذلك بكثير منهم الامراض القتالة .. وما كانت افعال الخير والحسنات لتكفي لصدّ هذه النازلة عن المساكين .

هذا وكان ينتظر نزول أشد الضربات في السنة الرابعة اذ لم يعد بين الايدي شيئاً يقوم بالاوَد لولا ان الله منّ على البلاد بالتغير الفجائي بسبب دخول البلاد الجيوش المحتلة في ١٨ ايلول سنة ١٩١٨ فضم شمل ما تفرق من ابناء حيفا وانفرجت الازمة ونفض القوم عنهم غبار المسكنة والخمول ووجدت بينهم حركة نشلتهم من ضيقتهم وافرجت كربتهم .

اما احتلال حيفا فكان هكذا :

في ١٨ من شهر ايلول من سنة ١٩١٨ اشيع في المدينة ان جيوش الحلفاء قامت بهجوم عام على كل الخطوط في الجبهة ثم عرف ان قد جرى احتلال درعا فسمخ فالعفولة واخيراً الناصرة وارسل آلاي الجند الموجود في حيفا لتخليص هذه

الاخيرة وقد جرت بينه وبين الجيوش المحتلة معركة في جهات جبال الرينه اسفرت عن هرب الجند التركي ثم رأى الاهلون نزوح الاتراك والالمان عموماً بجميع معداتهم وذخرهم وسياراتهم الى جهة عكا بسرعة جعلت الجميع يتأكدون من قرب الفرج ومساء يوم السبت ليلة الاحد في ٢١ — ٢٢ من ذات الشهر عقدت جلسة ضمت قائمقام البلدة ورئيس بلديتها ورؤساء دوائرها ورؤساء الطوائف الروحانيين وجرى تسليم المدينة الى رئيس البلدية وهذا قرّر التسليم للاعداء اذ لا مقدرة عَلَى الوقوف امام قواتهم الآتية ولكن حظرت المتصرفية في عكا عَلَى ولاة امور حيفا هذا العمل واضطرتهم الى المدافعة الى آخر نسمة من حياتهم (ليكون عَلَى ما ظهر للالمان سعة من الوقت للهرب) ولم يكن في حيفا من حامية الاّ بعض من افراد الجندرمة رابضين في اقصى حدود المدينة الى الشرق والغرب ومدفعان الواحد للطيارات في موقع البرج والآخر عَلَى الكرمل بين احراش الصنوبر (ولا يزال للآن في مركزه ولا يصلح لشيء) ثم سمع المدفعان يرسلان قذائفهما الى الجهة الشرقية ما بين النخل وبقيا على هذه الحالة طول نهار الاحد وسحابة الليل وصبيحة يوم الاثنين ثم سكتا فجأة

وما كانت الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين في ٢٣ ايلول حتى رُئيت الخيالة الهندية تدخل المدينة من كل اطرافها من جهة رأس الكرمل ومن جهة الجبل حيث اسكتوا المدفع واسروا الجندي الموكل به وخصوصاً من الجهة الشرقية وكان دخولهم بسرعة دبت الذعر في القلوب اولاً ثم لم يلبث ان خرج الاهلون الى الشوارع للقائهم مصفقين ومرحبين والويل ساعتئذٍ لمن كان يرى مرتديا الملابس العسكرية التركية فما من رحمة له من الهنود الذين كانوا يقضون عليه بحرابهم اللامعة والسبب في عملهم هذا هو ثورة دمائهم عَلَى امير بينهم كبير لاقى حتفه بشظية قنبلة عَلَى ابواب المدينة . ثم تبع الخيالة الهندية الانكليز راكبو السيارات ذات العجلتين (الموتوسيكل) وبعدها سيارات الصليب الاحمر لنقل الجرحى والقتلى ثم سيارات القائد واركان حربه وما كانت الساعة السادسة حتى نودي في المدينة ان القائد يرغب في قراءة منشور عَلَى الاهلين فاجتمع في ساحة الجرينه امام الجامع الكبير خلق كبير وقرأ القائد منشوره بالنيابة عن قائد الجيوش العام اللنبي ممثل جلالة ملك انكلترا . وقد اسر في ذلك النهار وثاني يوم جميع رجال العسكرية كالضباط والقواد ومن لهم علاقة بهم

הספרייה
האוניברסיטה העברית ירושלים

من الاتراك والالمان وبعدها مرّت جيوش الاحتلال كلها من نصف اسواق حيفا بمدافعها وذخرها ووجهتها عكا فصور وصيدا وبيروت ثم سادت السكينة وسعى كل وراء اشغاله وامله عظيم بأن المستقبل سوف ينسيه ما جرى ايام الحرب وان البلاد لا محالة سائرة الى التقدم والرقي والفلاح بمساعدة الحلفاء فسبحان مبدل الاحوال ومحقق الظنون وهو على كل شيء قدير ·

الكرمل

لا نحسب تاريخنا كاملاً لو اغفلنا ذكر الكرمل وهو المجمل حيفا والمكسبها المناخ الطيب والهواء العليل فضلاً عن مناظر تعد من أبهج ما يمكن ان ينشرح له الصدر ويرتاح الخاطر .

فالكرمل سلسلة جبال تشرف من جهة الشمال الغربي على البحر الذي تأتيه امواجه المتلاطمة متكسرة عند سفحه ومن جهة الشرق على بعد ٦ الى ٨ كيلومترات على مرج منبسط تمتد العين فيه على قدر ما أعطيت من حدة النظر وهو مرج ابن عامر الشهير ثم تلتف الى الجنوب بطول لا يقل عن ٢٤ كيلومتراً حتى ينتهي الى سهول سارونا المتصلة بجبال السامرة . اما عرضها فتتراوح بين الخمسة والثمانية كيلومترات وعلوها لا يزيد على العموم عن ٣٠٠ متراً انما يبلغ في الوسط ٥٤٠ متراً (قرية عسفيا على بعد ثلاث ساعات مشيا من حيفا) تكسوها كلها بلا استثناء الخضرة والاشجار واحراش السنديان وتخترقها الوديان الظليلة التي تؤنس وحشتها ثغاريد طيور براها الخالق فيها لتسبيح اسمه عزّ وجل .

اما كلمة الكرمل فعبرية الاصل معناها حديقة او جنينة

وكثيراً ما استشهد سليمان الحكيم في نشيد انشاده وانبياء الكتاب المقدس في نبوآتهم عند وصف الجمال والخصب بالكرمل وبرأسه الداخل في البحر واخضراره الدائم(١)

وذكر الكتاب المقدس ان يُقنعام ملك الكرمل حارب مع الملوك مجاورية يشوع بن نون(٢) ثم جعل الجبل بعد ذلك حدًّا فاصلاً بين اسباط اشير الى الشمال الشرقي وزبولون ويساكر الى الشرق ومنسى الى الجنوب اما هو فبقي مستقلاً معتبراً ارضاً مقدسة .

وكان رجال الله منذ القدم يأتون مغايره الكثيرة للانفراد في تنسكهم والابتعاد عن شرور الناس وكانت جهة البحر أفضل المناسك لهم .

ومما زاد في شهرته اقامة النبي ايليا فيه مدة وجوده على الارض وظهور قوة الله في اعماله امام كهنة البعل الذين أخزاهم كما يقول الكتاب يوم كان آحاب ملك اسرائيل ملتجئاً الى الكرمل برجاله وخيله هارباً من القحط الذي حلّ ببلاده لانحباس المطر عنها مدة ثلاث سنوات وستة اشهر لكثرة

---

(١) نشيد الانشاد ف ٧ ع ٥ - نبوءة اشعيا النبي ف ٣٥ ع ٢ نبوءة ميخا ف ٧ ع ١٤ - نبوءة عاموس ف ١٩ ع ٢-٣ الخ .

(٢) يشوع ف ١٢ ع ٢٢

شروره . فنصب النبي ايليا محرقتين على ان تدعو كل فئة الهها لارسال نيران تحرقها فنادى كهنة البعل آلهتهم وصرخوا ورقصوا ولا من مجيب و بقيت آلهتهم صماً عن سماع ندائهم اما النبي ايليا فقد استجاب الله صلاته وهبطت نارٌ من السماء واكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب حتى لحست الماء الذي امر ايليا ان يصب على المحرقة . وهكذا اعلن الشعب انتصار اله ايليا وذبح النبي ٤٥٠ كاهناً من كهنة البعل على نهر قيشون (المقطع)(١)

ثم كما يقول الكتاب قال ايليا لآحاب ان يعود الى بلاده فالمطر قريب وما هي الاَّ برهة حتى ظهرت سحابة صغيرة اولاً ثم اربدّت السماء وهبت الرياح ونزل المطر(٢)

وعلى الكرمل ايضاً جاءت المرأة الشونمية الى النبي اليشاع تلميذ ايليا وطلبت اليه ان يرد الحياة الى ابنها ففعل هذا باسم الرب (٣)

وكان الوثنيون يعتبرون الجبل كمكان مقدس حتى ان بعض المؤلفين ذكره مكرساً للاله جوبيتير وذهب البعض الآخر الى ان

---

(١) سفر الملوك الثالث ف ١٨ ع ١٠-٤٠

(٢) سفر الملوك الثالث ف ١٨ ع ٤٢—٤٥

(٣) سفر الملوك الرابع ف ٤ ع ١٧—٣٧

الكرمل كان الاله بانفس بعظمته وجلاله وجماله (الاله الكرمل)

وقد سجد فيه قسباسيانوس قائد جيوش الرومان المحاربة فلسطين سنة ٦٩ بعد المسيح قبل ان يسمى امبراطوراً وسأل الآلهة فيه عن مستقبله .

ثم ان الكرمل لفت انظار المؤمنين المسيحيين منذ الاجيال المسيحية الاولى وجعلوا مغائره مناسك لعبادة الله وشادوا بعض المعابد فيه وقد عانوا من الاضطهاد اهوالاً على زمن دوميسيان وتراجان وكلود ملوك الرومان وزارته بعد ذلك القديسة هيلانة في امبراطورية ابنها قسطنطين الكبير وشادت عليه كنيسة في اوائل الجيل الرابع بعد المسيح ولم تلبث ان لحق هذه الكنيسة الاضطهاد والدمار وبقيت المعابد تشيد ثم تهدم ويستشهد ساكنوها ويعاد بناؤها ودمارها ولا تزال آثارها القديمة للآن ظاهرة في وادي السياح وهو الوادي الظليل الموجود وراء الجبل الى الجنوب ويعرفه الحيفاويون باسم (السياح) وتجري فيه مياه عين ام الفرج وعين السياح .

وكذلك يذكر التقليدان المغارة المعروفة بمدرسة النبي ايليا وهي اليوم الخضر الكائنة عند سفح الكرمل على مقربة من شاطىء البحر أوت ليلة واحدة العائلة المقدسة برجوعها من مصر الى

الناصرة سالكة الشاطىء .

في اواخر الجيل الثاني عشر ضرب صلاح الدين الايوبي خيامه عليه .

وفي سنة ١٦٣٠ جاء راهب مساعداً من قداسة بابا رومية وطلب الى حاكم مدينة حيفا المسمى (طارابي) ان يسمح له بتشييد مناسك له ولرهبانه في الكرمل فاعطاه الحاكم الامر الذي نثبته بحروفه نقلاً عن مخطوطات الدير وحتى يقف القارىء الكريم على لغة المدينة في ذاك الوقت قال :

« حضر الى عندنا الاب الراهب بروصبرا من روح القدس الكرملي الحافي المتكلم على طائفة الكراملة القاطنين في مدينة حلب باجازت بابا رومية وكبيره حتى انهم يسكنو في بلادنا وتخصص في جبل الكرمل وطلبو الدستور انهم يمشو في البلاد بغير نكد ولا تعرض لهم بوجه من الوجوه من جنس الرهبان القاطنين في المحل المذكور ولا احد يقف لهم في طريق من امارا وشوابصة وغير من العربان وايضاً انهم يعمرو مغارة الخضر الزغيره و يعمل بيوت و بستان ومهما يحتاج اليه وكذلك في رأس الجبل مقام مهر الياس وكذلك في المينا يعمر ما يحتاج اليه من المساكن واعطيناه دستور في ذلك فبموجب ذلك لا احد يعترض لهم في ذلك بوجه من الوجوه لا من اهل البلد ولا من غيرهم من العربان والفلاحين وكل من يعترض لهم لا يلوم الاّ نفسه والحذر من المخالفة في ذلك وذلك جرى في اواخر شهر جمادى الاول سنة واحد واربعين بعد الالف »

(الختم)

فعمل الراهب بالامر ولكن لم يلبث ان اضطهد مع رجاله ثم شيد غيره ديراً جديداً عند رأس الكرمل سنة ١٧٦٧ ومرّ به محمد ابو الدهاب قائد جيوش علي بك عزيز مصر وذبح رهبانه وسنة ١٧٩٩ جعله نابوليون مأوى لمرضى جنوده وقد تركهم فيه بعد ارتداده عن عكا ورجوعه الى مصر وذبحوا كما ان الدير حرق . وسنة ١٨٢١ أكمل عبد الله باشا حاكم عكا خرابه مدعياً ان من فيه كانوا يسهلون طرق المواصلة مع اليونان . وشاد قصراً له في أقصى حد من رأس الكرمل وهو لا يزال الى اليوم معروفاً باسم (القصر) يعلوه المنار . ثم سنة ١٨٢٧ وُضع اول حجر للدير الحالي واكمل بناؤه بعد ذلك وهو اليوم أشبه الاشياء بقلعة حصينة لسمك جدرانه ومناعة ابوابه وشكل هندسته المربعة (واجهته تقيس ٦١ متراً وجانبه ٣٥) وفي وسطه الكنيسة التي بذل الكرمليون بفضل المحسنين غاية جهدهم لأن تكون من أجمل الكنائس وفي داخلها تحت الهيكل الذي يعلوه تمثال سيدة الكرمل العجائبية مغارة بعمق ثلاثة امتار وعرض خمسة ينزل اليها بخمس درجات وعلى هيكلها تمثال النبي ايليا من خشب وهي المغارة التي يؤكدون ان النبي كان يتردد اليها بوجوده على الارض، يأتيها كل سنة للزيارة الوف من المسيحيين من

اقطار العالم فضلاً عن سكان البلاد على اختلاف مللهم الذين يقيمون على الخصوص يوم ٢٠ تموز من كل سنة أبهج عيد للنبي

اما سطح الدير فحدث عن بديع المناظر التي تمتد امامه ولا حرج ولا أبهج الى الانسان من الوقوف وقتاً عليه محدقاً بالافق من الجهات الاربع وكاشفاً بعينه المجردة او بنظارته الى الجنوب خرائب عتليت والطنطوره والساحل الى جهات مدينة يافا ثم جبال السامرة وبعدها الى الشرق جبال الجليل الواصلة الى جبال حرمون ولبنان وتحته مدينة حيفا بحركتها التجارية وامامه عكا بعظمة اسوارها بعدها سلسلة الجبال الواصلة الى صور .. والدير غني بمكتبته الحاوية الاسفار الثمينة وكذلك بعادياته . وامام الدير يوجد في جنينة صغيرة نصب على شكل اهرام قائم فوق ضريح يضم عظام جنود نابوليون وقد نبش الاتراك والالمان عظام هذا القبر في الحرب الكبرى بعد ان أخلي الدير من رهبانه . وفي الساحة المنبسطة بين الدير والقصر حيث الفنار توجد قاعدة من الحجر الابيض بديعة البناء يعلوها عامود من الحجر وفي رأسه تمثال السيدة وهو هدية مقدمة من زوار الشيلي في اميركا . وعلى الكرمل توجد محلة حيفا المعروفة (بالست) كما انه تحتها وفي وسط الجبل يوجد قبر الباب وعبد البهاء عباس زعيمي الديانة البهائية وقد سبق لنا الكلام

في غير هذا المكان من التاريخ ·

وعلى بعد خمس ساعات مشياً يوجد دير المحرقة مشرفاً على مرج ابن عامر ونهر المقطع وهو من أعلى نقط الكرمل (٥١٥ متراً) وقد شيد هناك تذكاراً لاعجوبة النبي ايليا وذبحه كهنة البعل ·

قرى الكرمل وضيعه في وقتنا الحاضر كثيرة وعمل سكانها فلاحة الارض وزيت الزيتون وأهم هذه القرى وأغناها قرية عسفيا (اعلى نقطة في الكرمل ٥٤٠ متراً) وعدد سكانها ٦٨٠ والدالية وعدد سكانها ٨١٨ وكلهم دروز الا في الاولى منهما فيوجد قدر ٤٠ نفساً من المسيحيين وقد اشتهرتا بجودة صناعة الجبن · اما سكان باقي القرى فمسلمون على الاطلاق · اما المواصلات بين هذه القرى فصعبة جداً ولا طريق معبدة بينها في الوقت الحاضر ابداً ولعل الحكومة تنظر اليها في المستقبل بعين الاهتمام وتسهل الطرق للمواصلة فتزداد بذلك اليد العاملة في الكرمل فضلاً عن موارد كثيرة ينتفع منها الاهلون والحكومة معاً · كما اننا نلفت في ختام هذا التاريخ انظار اغنيائنا الى مناخه الطيب فالاصطياف فيه يجعل للبلاد موارد كثيراً ما احيت امماً كبيرة ·

انتهى

مطبوعاتنا - تابع

عبد البها عباس

والديانه البهائية

وضعنا هذا الكتاب على اثر وفاة زعيم البهائية عبد البهاء عباس وفيه حفلة تشييع جنازته مع ترجمة حياته ولمحة في تاريخ البهائية منذ نشأتها الى عصرنا الحاضر مأخوذة عن أهم المصادر وأوثقها وثمنه غرشان مصريان

الزهرة الحمراء

رواية ادبية اخلاقية وقعت حوادثها في الثورة الفرنسية ويجمل بكل انسان ان يقرأها وقد عرّبناها نشرناها تباعاً في السنة الاولى من مجلتنا الزهرة واخذنا نسخها على حدة وثمنها ٦ غروش

روايات تمثيلية

سجين القصر (خمسة فصول)

قاتل اخيه (ثلاثة فصول)

اقبال المدارس والجمعيات على تمثيلها في سائر الجهات يكفي للفت انظار عشاق التمثيل وهما بتلمنا وثمن الاولى ٨ غروش والثانية ٥ غروش

مطبوعاتنا - تابع

روايات الزهرة

لقد نشر في مجلتنا (الزهرة) لهذا التاريخ ٣٠ رواية مستقلة من أبدع الروايات وكلها ادبية اخلاقية جديرة بمطالعة الشبان والشابات على السواء وثمن كل رواية على حدة غرشان مصريان

اما مجموعة روايات السنة الاولى فثمنها مجلدة تجليداً متقناً ٦٠ غرشاً مصريا

تحت الطبع

حديث المائدة

كتاب ادبي اخلاقي اجتماعي عربه عن الانكليزية الأديب توفيق زيبق ، يبحث في المواضيع العصرية الهامة . وقد اطلق عليه هذا الاسم اشارة الى عذوبة مواضيعه وطلاوتها وخفة وطأتها عَلَى الذهن والقلب .

سيظهر قريباً ويطلب من مكتبتنا الوطنية

في سبيل الشرف

رواية تمثيلية ذات خمسة فصول وهي الحلقة الثالثة من سلسلة الروايات التمثيلية التي آلينا على نفسنا وضعها لاستعمال الادباء والمدارس عموماً ولا أدل عَلَى مغزاها من اسمها في (سبيل الشرف) وهي تحت الطبع وستظهر قريباً وتطلب من مكتبتنا

שערי המזרח
מרכז המחקר

الزهرة

مجلة ادبية روائية اخلاقية تاريخية فكاهية

تصدرها المكتبة الوطنية في حيفا

هي اول مجلة صدرت من نوعها بعد الحرب الكبرى وتعنى بنشر في قسمها الاول الروايات الادبية الاخلاقية الاجتماعية الفكاهية وخصوصاً التاريخية الكاشفة عن حقيقة ما جرى في الحرب العمومية وفي قسمها الثاني وهو الاكبر حجماً بعنوان معرض الاقلام كل ما لذّ وراق من المقالات والقصائد لأشهر شعراء وكتاب العصر

وقد آلت على نفسها ألاّ تنشر الاّ كل ما هو قويم المبادىء يجدر تداوله بين ايدي الشبان والشابات على السواء .

اما اشتراكها فستون غرشاً مصرياً في فلسطين و٧٥ في الخارج وتصدر موقتاً مرتين في الشهر فالى مناصرتها بالاشتراك بها ندعو الادباء والادبيات

العنوان : مجلة الزهرة — حيفا (فلسطين)

صندوق البريد ٢٤١

השפריה וזיכרון לדסה
ומרכז הבין לאומי ל ד לים
על שם רוזי ס ל
האוניברסיטה העברית בירושלים

المكتبة الوطنية

بيروت

جميل البحري واخوه - صيدا

فيها جميع الكتب العلمية والادبية والتاريخية والمدرسية والروائية باللغات العربية والفرنسية والانكليزية وكل ما يلزم المدارس والتجار والدوائر الرسمية والمطابع من الادوات الكتابية كالدفاتر والورق والاقلام والحبر على اختلاف اجناسها والوانها وصناعاتها وغيرها

وهي مستعدة لتلبية ما يطلب منها باسعار غاية في المهاودة